

تفسير البحر المحيط

@ 384 أن أيوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به ، وأن ذلك كان سبباً لما مسه
□ به من النصب والعذاب ، ولا أن رجلاً استغاثه على طالم فلم يغثه ، ولا أنه داهن كافراً
، ولا أنه أعجب بكثرة ماله . وكذلك ما رووا أن الشيطان سلطه □ عليه حتى أذهب أهله
وماله لا يمكن أن يصح ، ولا قدرة له على البشر إلا بإلقاء الوسوس الفاسدة لغير المعصوم .
والذي نقوله : أنه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله ، على ما روي في
الأخبار . وروى أنس عن النبي صلى □ عليه وسلم) ، أن أيوب بقي في محنته ثماني عشرة سنة
يتساقط لحمه حتى مله العالم ، ولم يصبر عليه إلا امرأته ، ولم يبين لنا توالي السبب
المقتضي لعلته . وأما إسناد المس إلى الشيطان ، فسبب ذلك أنه كان يعود ثلاث من
المؤمنين ، فارتد أحدهم ، فسأل عنه ف قيل : ألقى إليه الشيطان أن □ لا يبتلي الأنبياء
والصالحين ، فحينئذ قال : { مَسَّ سَدَى الشَّيْطَانُ } ، نزل لشقيقته على المؤمنين .
مس الشيطان ذلك المؤمن حتى ارتد منزلة مسه لنفسه ، لأن المؤمن الخير يتألم ب رجوع
المؤمن الخير إلى الكفر ؛ ولذلك جاء بعده : { ارْكُضْ بِرِجْلِكَ } ، حتى يغتسل ويذهب
عنه البلاء ، فلا يرتد أحد من المؤمنين بسبب طول بلائه ، وتسويل الشيطان أنه تعالى لا
يبتلي الأنبياء . وقيل : أشار بقوله : { مَسَّ سَدَى الشَّيْطَانُ } إلى تعريضه لامرأته ،
وطلبه أن تشرك با □ ، وكأنه بتشكي هذا الأمر كان عليه أشد من مرضه . وقرأ الجمهور : {
بِئْسَ صَبٍ } ، بضم النون وسكون الصاد ، قيل : جمع نصب ، كوثن ووثن ؛ وأبو جعفر ، وشيبة
، وأبو عمارة عن حفص ، والجعفي عن أبي بكر ، وأبو معاذ عن نافع : بضمين ، وزيد بن علي
، والحسن ، والسدي ؛ وابن عبله ، ويعقوب ، والجدي : بفتحين ؛ وأبو حيوة ، ويعقوب
في رواية ، وهبيرة عن حفص : بفتح النون وسكون الصاد . وقال الزمخشري : النصب والنصب ،
كالرشد والرشد ، والنصب على أصل المصدر ، والنصب تثقيل نصب ، والمعنى واحد ، وهو التعب
والمشقة . والعذاب : الألم ، يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب . انتهى .
وقال ابن عطية : وقد ذكر هذه القراءات ، وذلك كل بمعنى واحد معناه المشقة ، وكثيراً
ما يستعمل النصب في مشقة الإعياء . وفرق بعض الناس بين هذه الألفاظ ، والصواب أنها لغات
بمعنى من قولهم : أنصبتني الأمر ، إذا شق عليّ انتهى . وقال السدي : بنصب في الجسد
وعذاب في المال ، وفي الكلام حذف تقديره : فاستجبنا له وقلنا : { ارْكُضْ بِرِجْلِكَ }
، فركض ، فنبعت عين ، فقلنا له : { هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } فيه شقاؤك ،
فاغتسل فبرأ ، { وَوَهَبْنَا لَهُ } ، ويدل على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه .

وتقدم الكلام في الركض في سورة الأنبياء . وعن قتادة والحسن ومقاتل : كان ذلك بأرض الجابية من الشام . .

ومعنى { هَذَا مُغْتَسَلٌ } : أي ما يغتسل به ، { وَشَرَابٌ } ، أي ما تشربه ، فباغتسالك يبرأ طاهرک ، وبشربك يبرأ باطنك . والظاهر أن المشار إليه كان واحداً ، والعين التي نبتت له عينان ، شرب من إحداهما واغتسل من الأخرى . وقيل : ضرب برجله اليمنى ، فنبتت عين حارة فاغتسل . وباليسرى ، فنبتت باردة فشرب منها ، وهذا مخالف لظاهر قوله : { مُغْتَسَلٌ بِأَرْدُ } ، فإنه يدل على أنه ماء واحد . وقيل : أمر بالركض بالرجل ، ليتناثر عنه كل داء بجسده . وقال القتيبي : المغتسل : الماء الذي يغتسل به . وقال مقاتل : هو الموضع الذي يغتسل فيه . وقال الحسن : ركض برجله ، فنبتت عين ماء ، فاغتسل منها ، ثم مشى نحواً من أربعين ذراعاً ، ثم ركض برجله ، فنبتت عين ، فشرب منها . قيل : والجمهور على أنه ركض ركضتين ، فنبتت له عينان ، شرب من إحداهما ، واغتسل من الأخرى . والجمهور : على أنه تعالى أحيا له من مات من أهله ، وعافى المرضى ، وجمع عليه من شئت منهم . وقيل : رزقه أولاداً وذرية قدر ذريته الذين هلكوا ، ولم يردّ أهله الذين هلكوا بأعيانهم ، وظاهر هذه الهيئة أنها في الدنيا . وقيل ذلك وعد ، وتكون تلك الهيئة في الآخرة . وقيل : وهبه من كان حياً منهم ، وعافاه من الأسقام ، وأرغد لهم العيش ، فتناسلوا حتى تضاعف عددهم وصار مثلهم . .

و { رَحْمَةً } ، { وَذِكْرًا } : مفعولان لهما ، أي أن الهبة كانت لرحمتنا إياه ، وليتذكر أرباب العقول ، وما يحصل للصابرين من الخير ، وما يؤول إليه من الأجر . وفي الكلام حذف تقديره : وكان حلف